التاريخ ومؤرخو اليمن في القرون الستة الأولى للهجرة

أحمد سعيد ناصر

قسم مناهج الدراسات الاجتماعية– كلية التربية– جامعة صنعاء .

DOI: https://doi.org/10.56807/buj.v2i2.81

الملخص

حفل النشاط العلمي لمؤرخي اليمن بالكثير من المؤلفات التاريخية، أو تلك التي على تماس بكتابة التاريخ، والحاصل أن اليمن بتعدد مراكزها العلمية أنتجت ثراءً فكريًا عامًا، وفي حقل المعرفة التاريخية خاصة. تنوعت الكتابة في موضوعات التاريخ تنوعاً كبيرا، وكتبَ العلماء في القرون الهجرية الأولى وما بعدها، تراثا واسعًا في علم التاريخ وعلومه المساعدة. يتتبع هذا البحث تناول العلماء اليمنيين للمضامين التي تعبر عن فكرة التاريخ، مع التركيز على المصنفات التي حملت عناوينها إشارة صريحة للتاريخ، وماذا يعني لهم مصطلح "تاريخ" ومفهومهم له. تحدد إطار البحث الزمني منذ البداية الأولى لظهور إشارة أو لفظة تدل على التاريخ في مؤلفات هؤلاء العلماء، بعد الإسلام وحتى نهاية القرن السادس الهجري (67- 582هـ). نبتغي من البحث الوصول إلى الإجابة على سؤال: ما هو مفهوم التاريخ لدى مؤرخي اليمن الأُوَلْ؟ وصلات المؤرخين بالحياة العلمية العربية، وهل تأثر علماء التاريخ في اليمن بتوجهات ومضامين الحياة العلمية العربية الإسلامية، أم كان لهم طابعهم الخاص في كتابة التاريخ، بعيدًا عن المؤثرات الخارجية؟ قُسّم البحث إلى ثلاثة محاور: المحور الأول: مصطلح "التاريخ" تاريخيًا ولغويًا. المحور الثاني: صلات المؤرخين بالحياة العلمية في الأمصار. المحور الثالث: مفهوم التاريخ عند مؤرخي اليمن.

تمهيد

استبق عصر التاريخ أو ما يُسّمى بعصر التدوين التاريخي أطوارًا بشرية عدّة وحقب زمنية متعددة، وتكاد الأطوار الحضارية لجغرافيا مستطيل الحضارة تخلو من معلومات دقيقة وموثقة، عن نشاط بشري فيها يخص الأزمنة الغابرة لعصر التدوين(اسماعيل ، 2001م، م1، ص51.)، بسبب قلة الاكتشافات الاثرية فيها(خاصة اليمن)، باستثناء حضارة بلاد الرافدين التي يجد المتتبع إشارات كثيرة لمفردات لها صلة بالثقافة والتاريخ وانشطة الحراك البشري، والاتصال الحضاري(موسوعة حضارة العراق ، 1985م ، ج 2، ص 271، 272.). تُرجح الكشوف الأثرية والدراسات التاريخية حتى الآن، أن السومريين أول من اكتشف الكتابة لأول مرة في عصر فجر السلالات، في النصف الثاني من "عصر الوركاء (عصر حضاري، نسبة الى اوروك، وتقع جنوب شرقي السماوة بالعراق. ، حضارة العراق، ج1، ص 221.)" (3500– 3200 ق. م)، أواخر العهد "الحجري –المعدني"، بعد نهضة وتقدم ساد الطور الحضاري السابق المسمى "العُبيد". وعُدّ اكتشاف هذا المنتج الحضاري بمثابة انقلاب في التفكير وفي تاريخ الحضارة البشرية، وبداية عصر التاريخ[1].

(1) ارتبطت الكتابة بأواخر الألف الرابع قبل الميلاد، وظهرت في أول اطوارها ببلاد الرافدين في الخط المسماري على شكل صور ورسوم للتعابير عن معناها، ومرت بثلاث مراحل تطورية هي الصورية (Pictographic)، والرمزية (Logogram/Ideogram)، والصوتية (phonetic)، لكنّها ظلت تستخدم في التدوين، الى فترات متأخرة بعد سقوط بابل سنة 539 قبل الميلاد(عثر على رقم طيني يحوي قطعة أدبية بـ"لهجة النساء"، مؤرخة سنة 150 ق.م. وتحمل اسم الكاتب بيل أدنا (Bel –iddina) الذي كان مساعدًا لأحد الكهنة)، ما يدل على استمرار الكتابة المسمارية، ويرجح أنها بقيت مستعملة في التدوين لفترة تنوف على 3000 سنة، كما ظهرت الكتابة الهيروغليفية في مصر، وفي مرحلة لاحقة بحدود منتصف الألف الثاني ق.م؛ ظهرت الكتابة الأبجدية في اليمن وأوغاريت وجبيل، ومطلع الألف الأول ق.م، انتقلت أبجدية جبيل الفينيقية إلى اليونان. حضارة العراق، ج1، ص 223، 224، 228؛ أبو الغيث: عبد الله، قراءة تاريخية لتدوينات الكُتاب الإغريق عن جنوب جزيرة العرب، استرابون أنموذجاً، (بغداد، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، 2016م)، ص 21؛ ناصر: أحمد سعيد، بيت الحكمة ودوره

المحور الأول: مصطلح "التاريخ" تاريخيًا ولغويًا.

يرى المؤرخ الأستاذ الدكتور طه باقر أن التأصيل الصحيح لكلمتي "أرّخ"، و"يؤرخ"، تأتي بمعنى الزمن أو "عين الزمن وحدوده" ومنها اشتقت كلمة "تأريخ". وتوريخ، وتأريخ في اللغة الأكدية warhum أو arhum(حضارة العراق، ج2، ص 270.). وجذر مصطلح تأريخ (ورخ) مأخوذ من لغة اليمن، وكلمة (وِرْخ) عند عرب اليمن (الشهر)، كما دوّن في المسند(الحميري ، 1999م ، ص 1، ص 239.)، وأصل لفظتي: أرَّخَ"، "يُؤَرِّخ" من (إرْخ) و(وِرْخ)، من أسماء القمر في لهجات العربية القديمة (اللغة العاربة)[2]، وهو ما يؤكد أن المصطلح عربي[3]، خلافا لمن ينسبه، للعبرانيين والسريان، أو من يحصر تسمية مصطلح "التأريخ" (History)، بالمؤرخ الأوروبي اليونتني هيرودوتس(485–425 ق.م)[4].

تحوي لغة العرب على اشتقاقات كثيرة لمصطلح "التاريخ"، فهو في اللغة: الإعلان بالوقت(السخاوي، ص 15).. وأرخ: التَّأْرِيخُ: تَعْرِيفُ الْوَقْتِ، والتَّوْرِيخُ مِثْلُهُ(الزبيدي ، ج7، ص 225) (ابن منظور ، 1414هـ, ج3، ص 4). ووَرَّخ الكتابَ، وأَرَّخه: إذا كتبه(الحميري ، ج11، ص 7140.). تَقُولُ (أَرَّخَ) الْكِتَابَ بِيَوْمِ كَذَا وَ (وَرَّخَهُ) بِمَعْنًى وَاحِدٍ(الرازي ,1999م ، ص 16.). و"أرخت"، "وورخت"[5]، وورخته، وأرّخه، وآرخه، أرخا وتأريخا ومؤارخة(الزبيدي ، ج7، ص 225.). و"تأريخ" لفظ عربي بمعنى الحساب أو العهد(دائرة المعارف الإسلامية، علم التاريخ، 1981م ، ص 26.).{وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ}(جزء من الآية 47، سورة الأنبياء). بمعنى عند. وكتبته لخمس خلون، وتسمى: لام التاريخ(الفيروز آبادى ، 2005م ، ص 1159.). نصل بالتناول اللغوي لاشتقاق مصطلح "تأريخ" إلى أنه يعني، الاعلام بالوقت؛ لكن تحديدًا واضحا للمصطلح، قال به المؤرخ السخاوي(ت902هـ)، بأنه: "الانسان والزمان"(السخاوي , 2013م, ص 124.)، وهما الأداتان الدالتان على الفعل التاريخي، الذي أساسه الانسان في المجتمع(العلي ، العدد51، 1995/1994م . ص 89.)، وهو بالتالي محصلة إرادة الانسان، عبر الزمن(المشهداني ، العددان41، 42، 1990م ، ص 159).، لذلك ارتبط مصطلح "التاريخ" للتعبير عن حصيلة النشاط الإنساني في الأزمنة السابقة، على انّ الأكثر شيوعًا ذاك الذي يعتبره سجلًا

في الصلات العلمية بين الشرق والغرب، رسالة ماجستير (صنعاء، جامعة صنعاء–كلية الآداب، 2015م)، (من مقدمة الرسالة).

(2) يستخدم بعض الباحثين مصطلح " اللغات السامية" على مجموعة اللغات التي تكلمت بها الاقوام القديمة التي عاشت بشبه الجزيرة العربية وأطرافها، ومنهم العرب؛ وهو مصطلح حديث اول من استخدمه الباحث اليهودي النمساوي شلوتزر عام 1781م. لذا تعارف مؤرخون على اطلاق اسم (اللغة العاربة)، وليس السامية، كون الاكتشافات الاثرية الحديثة، وقراءة النصوص المسمارية وغيرها من النصوص القديمة قد أثبتت عدم دقة هذه التسمية، واظهرت الارتباك الذي وقع فيه سفر التكوين، ودفعهم للخلط بين الاقوام والانقياد لمقاصدهم الدينية والعرقية، وتعصبهم على الأقوام التي سبقتهم في العيش بفلسطين أرض كنعان؛ كما ورد اسمها بكتاب العهد القديم. سليمان: عامر، اللغات العاربة، لغات العرب القدماء، مجلة المجمع العلمي، (بغداد، مج 51، ج 3، 2004م)، ص 75، 76؛ ينظر سفر التكوين، اصحاح 10: 21– 24.

(3) التاريخ بالهمز، والتاريخ بإهمال الهمز، والتوريخ تعريف الوقت. وهو لفظ عربي صحيح. واكد الاصمعي عربية المصطلح للتفريق اللغوي، فقال: "بنو تميم يقولون ورّخت الكتاب توريخًا، وقيس تقول أرخته تأريخا. السخاوي: محمد بن عبد الرحمن شمس الدين (ت 902هـ)، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، ت. فرانز روزنثال، ترجمة الدكتور صالح أحمد العلي، (بيروت، مؤسسة الرسالة، 1986م)، ص 17؛ هرنشو: علم التاريخ، ترجمة عبد الحميد العبادي، (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1944م)، ص 34؛ مصطفى: شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون– دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام–، (بيروت، دار العلم للملايين، ط3، 1983م)، ص 49.

(4) التاريخ في نظر هيرودوتس؛ التحري وتسجيل أحداث الماضي وروايتها، وهو "دراسة اجتماعية تتميز عن دراسة الأساطير"، ومع ذلك فان تدويناته في كتابه (التاريخ العام) فيها قدرًا كبيرًا من الخلط بين الحقيقة والاسطورة. موسوعة حضارة العراق، ج 2، ص 270؛ أبو الغيث: عبد الله، قراءة تاريخية، ص 23.

(5) مثل أكدت الأمر تأكيداً، ووكدته توكيداً لغة تميم، وبها نزل القرآن: {وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا} [النحل: 91]. وأما التاريخ بلغة قيس فالذي يستعمله الناس، وأما التواريخ لغة تميم فما استعمله كاتب قط، وإن كانت العرب تتكلم به. الصولي: ابو بكر محمد بن يحيى(ت335هـ)، أدب الكتاب، تصحيح محمد بهجة الأثري، نظر محمود شكري الآلوسي، (بغداد–المكتبة العربية، مصر–المطبعة السلفية، 1341هـ)، ص 178، 180.

للأحداث لا مجرد سردٍ للأحداث ذاتها(بارنز ، 1987م ، ج1، ص 17.). وهناك قول قديم: ان التاريخ دراسة للبشرية في جميع ما لديها من وجوه التنوع المحيّر(اتكن ، 1982م ، ص 2.). ويبدو أنّ التعريف الدقيق والواضح للتاريخ هو: علم يُعنى بالنشاط الإنساني، فالأصل فيه هو النشاط الذي تمارسه جماعة من الناس في مكان معين وزمان معيّن ولغاية معيّنة، فمثل هذا الفهم يهتم بالأحداث، ولكنه لا يتوقف عندها، إنما يهتم أكثر بالحركة العامة للتاريخ، كما تعارف عليه مؤرخون(العلي، كتابة تاريخ عام للعرب، ص 89؛ الحديثي، علم التاريخ، ص21.).

لم نقف عند مصطلح مباشر باسم "التاريخ"، في التدوينات الأولى للعرب، وانما دلّت مفردات كثيرة في ازمنة مختلفة على قربها من "المصطلح"، استخدمها الإخباريون قبل الإسلام وبعد الاسلام، وغلب عليها الشق الاخباري والرواية الشفوية في ذكر الاحساب والأنساب، وحروب القبائل، ومع ذلك فإنها بداية متاحة لتداول ما كان، والذي بقي منها علم الملوك: النسب والخبر، كما قال الجاحظ، وأستبق، كما يبدو، النسب على التاريخ في التدوين(الجاحظ: ، 1424هـ ، ج3، ص 243)(عواد , ج 5، 1384هـ ، ص 35.). وإذا كنا فقدنا اول كتاب يحمل اسم "التاريخ"، للإخباري عوانة بن الحكم(ت147/141هـ)، وذلك لم يمكننا من معرفة ما الذي حمله كتابه، فان المحدّث سفيان الثوري(ت161هـ)، كان الأوضح في استخدام المصطلح، في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، بقوله: "لمّا استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ"(الخطيب: ص 119)(السخاوي ، ص 22.)، ويقصد فيه الزمن، وكان حُجته بين الرواة، أي اتصال زمن الإسناد للرواة بزمن الرسولﷺ، وهذا اول نص يستخدم مصطلح التاريخ، بصورة مباشرة، وبقدر ما تعكس هذه العبارة مفهوم ووعي الثوري للتاريخ (الزمن أو الوقت)، فإنها تشير، إلى انّ الحدث التاريخي، ليس شيئًا معلقا في الهواء، وانما تحكمه اعتبارات الاستقلالية، والظرف الموضوعي، والارتباط بزمن، وطبيعة حدوثه، إضافة إلى ان نتيجته مرهونة بفعل وفاعل.

المحور الثاني: صلات المؤرخين بالحياة العلمية بالأمصار.

بدأت الرواية عند العرب تعتمد أسلوب "الرواية الشفهية" في نطاق واسع بين عرب الشمال والجنوب في جزيرة العرب، وكانت وسيلة متاحة قبل التدوين، وهذا لا يعني عدم وجود تدوين تاريخي قبل الاسلام، بل كان محدودا، وظهر عند جماعات مستقرة في اليمن وعراق المناذرة وشام الغساسنة والحجاز(حمادي , مجلة المؤرخ العربي، العدد 23، 1983م ، ص 266)(بشار , المؤتمر الدولي للتاريخ (بغداد، 1975م).. واختصت كل جماعة بتراثها الخاص ما بين نقوش ومعابد وقلاع ومدن وكتب، فمثلًا كانت اليمن تتمتع بمركز حضاري عريق، لها تقويم حميري ثابت منذ سنة 115 قبل الميلاد، ولها لغة، وخط (المسند) استخدم في كتابة النقوش، وأرّخ للأحداث الدينية والاجتماعية والاقتصادية، فضلًا عما "ادخرته ملوك حمير في خزائنها من مكتوب علمها"، و"زبر حمير القديمة ومساندها الدهرية"(مصطفى، التاريخ العربي، ص 53، عن كتاب الهمداني– الاكليل، ت. الاكوع، (القاهرة، 1963م)، ج 1، ص 9، 13؛ ثم جزء 10، طبعة محي الدين الخطيب، (القاهرة، 1368هـ)، ص 30، 31، 111.)، لكن ومع هذا الثراء الثقافي يقول المستشرق هاملتون جب: جميع ما وصلنا من هذا المركز لا يحمل سوى طابع الرواية الشفهية(حمادي، ، ص266، 1978م). أمّا عرب الحيرة والمناذرة كان لهم نقوش في تدمر وبترا ومدين، وعُثر لهم على انتاج علمي ثقافي عبارة عن كتب تحوي اخبارهم وانسابهم، بينما عرب نجد والحجاز فكان لهم تراث ثقافي شفهي قصصي(مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ص 53، 54.). ظلت الرواية الشفهية هي السائدة قبل الإسلام، وتناقل العرب في تجمعاتهم وأسمارهم ما سمي بأساطير الأولين عن العرب البائدة وحروبهم وأنسابهم والشعر والأدب، وبعض الأحداث التي تخص دولا تعاقبت على حكم اليمن، وكانت قصص الحميريين تمثل مصدرًا لتاريخ العرب وما قبل تاريخهم(بيتروفسكي مجلة كلية الآداب، ، مجلد 33، عدد خاص، 2010م ص 237؛ ، ص 265، 266.)، وبدأ مع هذا الأسلوب الشفهي للرواية اهتمام العرب بالنسب وحفظ شجراته، وبالتالي الاهتمام معها بالتاريخ، وإن كان تاريخا يدون للذات ولا يركز على دورها في الحياة(السخاوي، ص 123، 124؛ حمادي ، ص 265، 266.)، على أنّ ما وصل الينا من تراث قبل الإسلام؛ إمّا قصص ديني وثني،

نقله الأحبار والرهبان، أو روايات واحاديث جماعية تضم التاريخ البدوي للقبائل العربية، وتحمل اسم "الأيام"[6].

ظل التواصل الثقافي بين اليمن ومحيطه بعد إسلام اهل اليمن، ورافقت الإجراءات السياسية والإدارية بتعيين ولاة يتبعون دولة المدينة، اهتماما بالجانب التعليمي، وتأسست مدارس علم متعددة الاختصاصات، في الجند وصنعاء وعدن من التابعين وتابعي التابعين. ونشأت حركة ثقافية متبادلة بين اليمن وعاصمة الدولة الجديدة، لتعلّم الدين والحديث النبوي، وبرز في القرون الأولى علماء يمنيين في الحديث والعلوم الأخرى في مركز الدولة مثل إمام دار الهجرة مالك بن أنس الحميري الاصبحي المدني (ت179هـ)،...الخ. وكان التأثير المتبادل مع مركز المدينة المنورة، ومراكز جزيرة العرب، واضحا في كتابات وتدوينات، السيرة وغيرها، وتأثر مؤلفون من عاصمة الدولة الجديدة بكتابات يمنية، فالمتتبع لكتابات ابن إسحاق(ت151هـ)– صاحب السير والمغازي (سيرة ابن إسحاق)–، يجد قدرا معقولا من القصص والاحداث، وخاصة في كتابه "المبتدأ"، على غرار كتاب التيجان في ملوك حمير لوهب بن منبه(ت114هـ)[7]، يليه مؤلّفْ السيرة النبوية، لابن هشام المعافري(ت213هـ)، الذي اقتبس من ابن منبه قصة دخول النصرانية إلى نجران[8]، كما أخذ حوادث واخبار تخص مارب من كتاب الاخباري اليمني عبيد بن شرّية الجرهمي[9]. وتأثر رواة مدرسة البصرة في العراق برواة ومحدثي صنعاء، ومدرسة اليمن عموما، واتجاهها القصصي، بفعل الرابطة والعلاقة التجارية بين البصرة واليمن(جواد ج 2 ، ص 62؛ مصطفى، ، ص 84.). وظل التقارب حاضرًا في الشكل والمضمون بين بعض الكتاب اليمنيين ونظرائهم في مراكز علم أخرى، ويوحي كتاب الاصمعي(ت217هـ) "تاريخ ملوك العرب

(6) الأيام: نوع من رواية المادة التاريخية قبل الإسلام بطريقة جماعية بدوية المنشأ، تروي النزاع القبلي وتضم ذكريات التاريخ البدوي للقبائل، وتحمل اسم "الأيام". مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ص 54.

(7) وهب بن منبه أبو عبد الله اليماني، قاص واخباري من الأبناء من أهل "ذمار"، ويقال إنه من أصل يهودي، ونسبه الرازي الى ملوك الفرس، وكان والده من أبناء الفرس الذي دخلوا اليمن اثر الاحتلال الحبشي، كان يتقن اليونانية والسريانية والحميرية، وإليه ترجع أكثر الإسرائيليات المنتشرة في المؤلفات العربية. كان يتقن اليونانية والسريانية والحميرية، استطاع ان يدخل عنصر القصص الى الدراسات الإسلامية، وجاء بوجهة غريبة عن مدرسة المدينة. له: كتاب التيجان، المبتدأ، وقصص الأخيار. توفي بصنعاء سنة114هـ. علي: جواد (ت1408هـ)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (بيروت، دار الساقي، ط4، 2001م)، ج 1، ص 84؛ الرازي: احمد بن عبد الله بن محمد، تاريخ مدينة صنعاء، ت. د. حسين العمري، (بيروت، دار الفكر المعاصر–دمشق، دار الفكر، ط3، 1989م)، ص 405؛ الدوري: عبد العزيز، نشأة علم التاريخ عند العرب، (أبو ظبي، مركز زائد للتراث والتاريخ، 2000م)، ص 29، 30.

(8) انتقلت المسيحية الى نجران الوثنية، على يد قس مسيحي من ال جفنة من غسان في الشام يدعى فيميون. الدوري: عبد العزيز، أوراق في التاريخ والحضارة، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2007م)، ج 1، ص 61، 62؛ الحديثي: نزار عبد اللطيف، نجران أهميتها وعلاقتها بالإسلام، مجلة المؤرخ العربي، (بغداد، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، العدد 29، 1986م)، ص 94، 95.

(9) الجُرْهُمي منسوب إلى جُرْهُمُ بن قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح. وجِرهامٌ: على وزن فِعلالٌ من جَرْهَم الرجلُ على الشيء، إذا أقدَم عليه. ومنه اشتقاق جُرْهم، وهي: بطن من قحطان، كانت منازلهم اليمن، فحين مَلَكَ يعرب اليمن ولّى أخاه جُرهماً الحجاز، وتداول ملكه بنوه، بعد تغلبهم على العمالقة، إلى أن أنزل إبراهيم عليه السلام ابنه إسماعيل وأُمه بمكة، فنزلوا عليهم وتعلّم إسماعيل منهم العربية وتزوج منهم. وعبيد بن شرية عالما بأنساب العرب قبل الإسلام، اخباري وراوية الأعشى، اول من ابتدأ التدوين عند العرب بمؤلّفه " كتاب الملوك وأخبار الماضين أو أخبار عبيد بن شرية في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها. وله كتاب "الامثال". من المعمرين، عاش قبل الإسلام حتى نهاية حكم مروان بن الحكم. توفي سنة 67هـ. ابن دريد: محمد بن الحسن(ت321هـ)، الاشتقاق، ت. عبد السلام هارون، (القاهرة، مكتبة الخانجي، ط3، د.ت)، ص511؛ الهمداني: محمد بن موسى (ت584هـ)، عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب، ت. عبد الله كنون، (القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ط 2، 1973م)؛ القلقشندي: أحمد بن علي (ت821هـ)، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، ت. إبراهيم الإبياري، (مصر، دار الكتاب المصري، لبنان، دار الكتاب اللبناني، ط2، 1982م)، ص 37.؛ كحالة: عمر بن رضا (ت1408هـ)، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط7، 1994م)، ص 211؛ جواد علي، المفصل، ج 1، ص 83، 84؛ سيزكين، تاريخ التراث العربي، م 1، ج2، ص 32، 33.

الأولية" بشيء من ذلك الخط الذي تضمنه كتاب عبيد بن شريّة، فـ"كلاهما ركّز على التواصل من خلال وصية الأب للابن"(الحديثي، ، ص 100.)، وجوهر الكتاب يحاكي ابن شرية، وابن منبه. كما شهد القرن الثالث الهجري تبادل التأثير في الأفكار والأساليب التاريخية بين المدارس والامصار، وبخاصة عن طريق الرحلة في طلب العلم(الدوري: ، ص 152.). واسهم اليمنيون في تطوير علم التاريخ عند العرب، فأقدم محاولة في تناول التاريخ كـ" علم"، قام بها الفيلسوف اليمني العربي يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي (ت260هـ)، في كتابيه؛ أقسام العلم الانسي، وماهية العلم وأصنافه(الكتابان مفقودان.).

ظهرت كتابات في مركز اليمن الحضاري شاملة التناول للمحيط العربي ولدور الامة الحضاري، بمعنى لم تقتصر كتابات المؤلفين على الشأن اليمني، وهذا واضح في كتب المؤرخ الهمداني(ت360هـ)، التي أظهرت شمولية في تناول دور الأمة الحضاري، كالإكليل، والجوهرتين، وصفة جزيرة العرب، ففي الصفة قدم وصفا لجغرافيا اللغات في الجزيرة العربية(العواضي ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، 2010م ، ص 92.) ، وطبائع سكانها ومواضعها ومسالكها ومياهها وجبالها ومراعيها ووديانها (الشيبة: مجلة الاكليل، ، ع 27، 2002م، ص 10).. ويبدو ذاك طبيعيًا، حيث لم تنفصل المراكز الحضارية والتجمعات البشرية في الجزيرة منذ عصر قبل الإسلام بفعل الجوار والتقارب في الفكر. وفي المقابل نال مركز اليمن اهتمامًا لافتًا من محيطه، فمثلًا اشار اليعقوبي في كتابه "البلدان" عن جزائر اليمن وسواحلها، وتسمية سكان كل بلد من قبائل العرب فيها، وفي تاريخه ذكر ملوك اليمن، وملوك الحيرة من اليمن، وحرب كندة وحضرموت(اليعقوبي: البلدان، ، 1422هـ ، ج1، ص 55، 56؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ، 1980م ، ص 75-84.)، وحوى كتاب "الأعلاق النفيسة" لابن رسته معلومات اقتصادية(الحديثي ، 1979م، ص19.)، كما احتوى معجم البلدان للحموي على أسماء ومخاليف ومواضع كثيرة، وذكر اليمن(836) مرة في معجمه(الحموي معجم البلدان، 1995م).' وكانت كتب البلدان تعتمد على معلومات ديوان الخلافة مستودع سجلات ووثائق الأمصار[10]. وتضمن كتاب "جمهرة النسب" لابن الكلبي، على شجرات لانساب قبائل يمنية، وحصل على معلومات لأخبار وانساب العرب من بيَعْ وكنائس واديرة الحيرة[11]، وأروع وصف للحياة الثقافية في اليمن ورد عند المقدسي بكتابه، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم(المقدسيى ، 1991م، ص 96، 142، 367.)، ولم تقتصر صلات اليمن بمحيطها في الجزيرة العربية فقط، بل تمددت صلاتها الثقافية مع مصر وشمال افريقيا والمغرب وصولا إلى الإمارة الأموية في الأندلس، وكان للمؤلفين اليمنيين حضور في الأوساط العلمية والثقافية في الامصار؛ إمّا بالرحلة العلمية، أو بواسطة مؤلفاتهم وانتاجهم الفكري، وذاع صيت علمائها، في مشرق الدولة ومغربها، والشاهد على هذا الاهتمام العلمي، ما كتبه المؤرخ صاعد الاندلسي(ت462هـ)، من ثناء على علَمين من اليمن، وهو يتحدث على علوم العرب بقوله: "وأمّا علم الفلسفة فلم يمنحهم الله عزّ وجل (أي العرب) شيئًا منه، ولا هيأ طباعهم للعناية به، ولا أعلم أحدًا من صميم العرب شُهر به إلّا أبا يوسف يعقوب الكندي وأبا محمد الحسن الهمداني"(الأندلسي ، 1912، ص 45.). وللدلالة على الصلات العلمية واهتمام علماء الاندلس بمركز اليمن، لوحظ في كتاب طبقات الأمم، ذكر اسم اليمن (5) مرات، وحضرموت (4) مرات، وعدن (4) مرات، ومارب مرة واحدة، والعالِمين: يعقوب الكندي (7) مرات، الحسن الهمداني (4) مرات. ومرّة واحدة لكل من ابن شريّة، وابن منبه، وكعب الأحبار. يضاف إلى الصلات العلمية،

(10) معظم الذين ألّفوا كتب البلدان إما كتاب في الديوان، أو استخدموا الديوان وسجل الوثائق التي كانت ترد من الأمصار الى ديوان الخلافة، منهم ابن رسته كان من كتاب الديوان.

(11) من الاديرة التي ذكرها الدكتور العلي: ديري هند الصغرى، والكبرى، غير السابق. ودير اللج. ودير ابن مزعوق. ودير عبد المسيح بن بقيلة الغساني (دير الجرعة) بظاهر الحيرة. وعدد من قصور ملوك الحيرة. ابن الكلبي: هشام بن محمد (ت204هـ)، جمهرة النسب، ت. د. ناجي حسن، (بيروت، دار الكتب، ومكتبة النهضة العربية، 1986م)، ص 150، 220؛ الطبري: محمد بن جرير (ت310هـ)، تاريخ الرسل والملوك، (بيروت، دار التراث، ط 2، 1387هـ)، ج1، ص 621؛ العلي: صالح، منطقة الحيرة، مجلة كلية الآداب، (بغداد، جامعة بغداد، العدد 5، 1962م)، ص 29، 30.

أيضًا، ما كان يشكله اليمنيون من عنصر أساسي في جيش الفتوحات، فمعظم الرواية عن المعارك الأولى في العراق، والشام ومصر والمغرب، وردت عن يمنيين لديهم حس تاريخي، وتولت قبائل يمنية، في البلدان المفتوحة مهمة تأطير المجتمعات واختطاط المدن كحمص بالشام والفسطاط بمصر[12]، والتأثير والاندماج بصورة لافتة في حياة مجتمعات شمال افريقيا والمغرب والاندلس، اجتماعيًا وحضاريًا(ابن عبد الحكم 1415هـ، ص 153.). ويبدو أنّ هناك دور تكاملي في الصلات الثقافية بين مركز اليمن ومحيطه الجغرافي سواءً في مركز الدولة العربية الإسلامية المدينة المنورة، او المراكز الأخرى في العراق والشام ومصر والمغرب والاندلس، بمعنى أنّ التأثير متبادل، على أنّ مركز اليمن كان له البداية الأولى في التدوين التاريخي سواءً فيما يتعلق بالتدوين التاريخي قبل الإسلام او التدوين في الإسلام.

المحور الثالث: مفهوم التاريخ عند مؤرخي اليمن

تركت مصطلحات الأقوام القديمة التي سكنت شبه الجزيرة العربية وأطرافها، مضامين ذات صلة بالتاريخ، ودالّة المعنى على القرابة به؛ كالخبر والقصص والأساطير والأنساب. وتمثّل هذه الدلالة بداية الوعي بالنشاط الثقافي ذي الصلة بمضمون التاريخ. ويبدو تأثير اليمن واضحًا في فترات استقراره السياسي، ففي حقب مختلفة، أنتج ثراءً حضاريًا، عمرانيًا ومعرفيًا؛ وما وصل الينا دونته نقوش المسند. ولا زالت الحاجة إلى وسيلة للتنقيب واكتشاف بقية الكنوز الأثرية لإظهار تراث اليمن الثقافي. وأسهم، لا شك، التقويم الزمني للدولة الحميرية بالوعي بعملية التدوين، وبنضج الفكرة التاريخية عند اليمنيين(الحديثي، علم التاريخ، ص39.). ويهمنا الوقوف على عقل المهتم (المؤرخ/العالم) اليمني في البدايات الأولى عند الشروع في تسجيل الأحداث وتدوينها، وطريقته في تدوين الأحداث التاريخية، خاصة وأنّ مفهوم التاريخ عند العرب قبل الإسلام لا يعدو أكثر من أنساب العرب وقبائلهم(ناجي ، 22، 1982م، ص117.). ويندر العثور في الكتابات التاريخية، عند أوائل من كتبوا، على تعريف واضح وصريح لمصطلح "مفهوم التاريخ"، ولا يتوفر بين المؤلفات كتاب يحمل المصطلح يمكن الاهتداء به. والمتاح هو عملية تجوال بين الكتب لاستنباط مفهوم كل مؤلّف كُتب أو اقترب من التناول التاريخي للأحداث وذلك بالنظر إلى الهدف من تأليفه هذا الكتاب أو ذاك.

ارتبط التدوين التاريخي في اليمن بالإخباري عبيد بن شرية الجرهمي(ت67هـ)، حين استحضره الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان، (60-41هـ)، إلى دمشق، بوجود مجموعة من الإخباريين[13]، وسأله عن أخبار اليمن وملوكها وتواريخ سنيها، والأخبار المتقدمة وملوك العرب والعجم وسبب تبلبل الألسنة وأمر افتراق الناس في البلاد(ابن النديم، الفهرست، ص102؛ المسعودي، ، 1973م، ج 2، ص 72، 203؛ مصطفى، ج1، ص126.). ومع كتاب ابن شرّية بدأت نشأة الكتابة التاريخية في اليمن ودولة الخلافة العربية الإسلامية، وهناك من يرى أنّ أول ظهور لكتابة تاريخية في اليمن، كانت على شكل سير ذاتية لمؤسسي المذاهب والدويلات، أواخر القرن الثالث الهجري[14]، ولكن كتاب عبيد بن شرية في القرن الأول الهجري يعطي صورة مبكرة لما تطور في علم الأنساب. وظلت زمنًا طويلا، الطريقة الخبرية، لأن التاريخ هو خبر عن حدث لهذا سموهم الإخباريين، وعبيد اكتشف جوهر الخبر. وفي إحصائية قام بها الباحث، مما توفر من مصادر في زمن البحث من 67 إلى 586هـ، أنجز اليمنيون (51) كتابا حمل منها عناوين صريحة بمصطلح التاريخ، والبقية تنوعت عناوينها

(12) خطط حمص تولاها السمط بن الأسود الكندي، وخطط الفسطاط تولاها: حيويل بن ناشرة من المعافر من حمير، معاوية بن حديج التجيبي من كندة، شريك بن سمي الغطيفي من مراد، وعمر بن مخزوم الخولاني. الحديثي، اهل اليمن في صدر الإسلام، ص11.

(13) ممن حضر الى جانب عبيد، النساب صحار بن العباس، دغفل النسابة، وعلاقة بن كرشم الكلابي، ولم يصلنا أي مصدر نقل عنهم باستثناء كتاب الاخباري عبيد بن شرية. ابن النديم: محمد بن إسحاق، الفهرست، ت. إبراهيم رمضان، (بيروت، دار المعرفة، 1997م)، ص 118؛ الحديثي، علم التاريخ، ص 98.

(14) من أوائل ما ظهر سيرة الامام الهادي الى الحق، يحيى بن الحسين الرسي(ت298هـ)، للمؤلف العلوي، علي بن محمد بن عبد الله (ت297هـ). السروري: محمد عبده، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدويلات المستقلة من سنة 429هـ- 1037م، الى 626هـ- 1228م، (القاهرة، مؤسسة الإسراء للنشر والتوزيع، 1999م)، ص 655.

بين (14) صنفا من صنوف الكتابة التاريخية وهي: تاريخ السيّر (9) مؤلفات، التاريخ العام (7) مؤلفات، تاريخ الأخبار (6) مؤلفات، تاريخ الرجال (4) مؤلفات، تاريخ الانساب (3) مؤلفات، تاريخ سير وأخبار (3) مؤلفات، تاريخ فضائل (3) مؤلفات، تاريخ مدن (3) مؤلفات، تاريخ مفاخر (3) مؤلفات، تاريخ مذاهب مؤلّفان (2). وكتاب واحد (1) لكل من: تاريخ الجغرافيا، تاريخ الكون، التاريخ القديم، تاريخ المناقب، تاريخ شعراء. ومن هذه المؤلفات وعناوينها، عند مؤرخي اليمن الأُوَلْ، لا نتوقع أننا سنجد صياغة نظرية في مفهوم التاريخ بمرحلة التدوين المبكر، إنما نلتقط شذرات نجمعها ونكشف القاسم المشترك بينها ونصوغ عليه مفهوما للتاريخ.

تمدنا المصادر أنّ أول كتاب تاريخ في اليمن، حمل جوهر التاريخ وهو الخبر، بعنوان "أخبار عبيد بن شرية الجرهمي في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها"[15]، ونستطيع القول أنّ الكتابة التاريخية الأولى في اليمن ابتدأت في الأخبار، وأول كتاب تدوين تاريخي، أخبار ابن شريّة، ومن عنوانه، لم يقل مؤلفه بانه كتاب في التاريخ، وانما بدأ بكلمة: في أخبار الأولين، أي الماضين، وتناول الأحداث بصيغة خبرية، وهي من علوم العرب قبل الإسلام كالقصص والأنساب والشعر. وحددت هذه الصيغة الخبرية، مفهوم المؤلف للتاريخ، بانه خبر[16]، وتكررت في متن الكتاب لفظتا: قال، أخبر، وهي من مصادر علم الكاتب، كما لوحظ استخدام المؤلف لمصطلح "خبر"، بعدد (84) مرة، وعدد (41) اشتقاقًا. وهذا يعني انّ مفهوم اليمنيين الماضين (الأُوَلْ) للتاريخ، بدأ بخبر عن الماضي، ويعزز هذا المفهوم، القول بأنّ اليمن؛ مصدر واصل لفظة "الخبر"(ماجد ، 39، 1988م، ص 172.)، لذا يُعد الإخباري ابن شرية، الأسبق في التدوين التاريخي، وشاهد على اهتمام المسلمين المبكر بالتاريخ الدنيوي(سيزكين، 1، ج2، ص11.).

اختلفت طريقة التدوين للأحداث بعد الجرهمي، حيث غلب على المؤلف اللاحق له وهب بن منبه(ت114هـ)، صاحب كتاب "التيجان في ملوك حمير"، الطابع السردي القصصي والجمع بين حوادث التاريخ والقصص الديني والاساطير الشعبية، ولوحظ أنّ مصطلح خبر لم يتكرر سوى (7) مرات، في كتابه، فيما مصطلح (يوم)، الأعلى تناولًا بعدد (85) مرّة، وهو قريب من التاريخ، ويعني الزمن والدهر والكون وفقًا للّغويين[17]. وبحكم ثقافة ابن منبه؛ الدينية، فقد استفاد من الكتب القديمة لأهل الكتاب، "أهل العلم الأول"[18]، وكتب في

(15) الكتاب مطبوع في اليمن بتحقيق مركز الدراسات والبحوث، ضمن كتاب التيجان لوهب بن منبه، ويبدأ ترقيم كتاب ابن شريّة من صفحة 323، وهي التي حملت عنوان الكتاب وفيها" اخبار عبيد بن شرية الجرهمي في اخبار اليمن واشعارها وانسابها على الوفاء والكمال والحمد لله على كل حال"، وأول سطور الكتاب يبدأ بصفحة 325، وينتهي في ص 499، واعتمد المطبوع على مخطوطتين، أصل، وب. ومذيل بـ 37 سطرًا لابن الأثير. وورد عنوانه في الفهرست لابن النديم، كتاب الملوك وأخبار الماضين. وفي الاعلام للزركلي: فأمره معاوية بتدوين أخباره فأملى كتابين سمي أحدهما " كتاب الموك وأخبار الماضين تحت عنوان " أخبار عبيد بن شرية في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها " والثاني " كتاب الأمثال ". ويبدو الكتاب الثاني مفقود. ابن النديم، الفهرست ص 118؛ الزركلي، الأعلام، ج 4، ص 189؛ ابن منبه، التيجان في ملوك حمير، ص 223.

(16) الخبر جمعه أخبار، ومحركه النبأ، وهوُ العلم بالشيء، وفي اللغة والاصطلاح: ما ينقل عن العير. ابن فارس: أحمد بن فارس الرازي(ت395هـ)، مجمل اللغة، ت. زهير عبد المحسن، (بيروت، دار الرسالة، ط 2، 1086م)، ص 310؛ الزبيدي، تاج العروس، ج11، ص 125.

(17) اليوم: من طلوع الشمس إلى غروبها، وقيل: كلّ يوم كامل بليلته: من غروب إلى غروب عند العرب، ومن شروق إلى شروق عند العجم. واليوم: الزمان الموجود، وبه تظهر الجمعات والشهور والسنون والدهور. واليوم: الكَوْن. واليوم: الدهر، بمعنى الدولة وزمن الولايات. الفراهيدي: الخليل بن أحمد (ت170هـ)، العين، ت. د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، (القاهرة، دار الهلال، د.ت)، ج8، ص 433؛ الزبيدي، تاج العروس، ج 34، ص143، 145؛ ابن العربي: محمد بن علي (ت638هـ)، الفتوحات المكية، ت. عبد العزيز سلطان المنصوب، (صنعاء، وزارة الثقافة، 2010م)، ج 4، 10، ص 150، 172.

(18) يرى مؤرخون ان قصاص اهل الكتاب، ثاثروا من قصة الخليقة عند السومريين، ومن الادب الشعبي لحضارة الرافدين، ومن ملحمة جلجامش، التي تحوي 37 ملحمة أدبية مكتوبة على الف رقيم طيني، ما يشير الى ان ابن منبه، ربما استفاد من كتب اهل الكتاب، وهم استفادوا من التراث الأدبي لبلاد الرافدين.

الأدب التاريخي، وابتعد عن كونه مرجعًا في التاريخ. لذا فكتابه يسجل ميلاد فجر القصة العربية، وطريقة روايتها(ابن منبه: ، 1979م، ص 7، 8). وهذا اللون من الكتابة القصصية، أو ما تسمى بالإسرائيليات، انتقل إلى الفكر العربي الإسلامي، عن طريق يهود دخلوا في الدين الإسلامي، عبر مركزي يثرب، واليمن إلى جزيرة العرب، وهو طارئ على الدراسة التاريخية[19].

يتضح من تأليف أول كتابين في اليمن بالقرنين الأول والثاني (أخبار عبيد بن شريّة، والتيجان في ملوك حمير)، الاختلاف الواضح في طريقة تدوينهما للأحداث، ومفهومها للتاريخ؛ فابن شريّة بدأ بالأخبار، ومصدر علمه: قال، وأخبر...لأنها ارتبطت بالحوادث، بينما ابن منبه، نظر للتاريخ من زاوية القصة، لأن القِصص ارتبطت بالأنبياء. والتاريخ بالنسبة له هو تاريخ الأنبياء والملوك، ومصدر علم الكاتب هو نفسه في كثير من التناولات، كما يوحي كتابيهما بالتدوين الأولي التاريخي، رغم عدم افصاحهما، بصورة واضحة على مصطلح التاريخ، الا من خلال مضامينه. ومع استمرار الأسلوب او المنهج الاخباري في سرد الاحداث للمؤرخين اللاحقين، الا ان الكتابة التاريخية تطورت مع تطور مفهوم المؤرخين للتاريخ، فلحظنا ظهور مؤلفات لاحقة، تحمل لفظا صريحا باسم التاريخ، ولم تختفِ المؤلفات التي تحمل عناوين بمضامينه او علومه المساعدة، كالأنساب والفضائل والمفاخر والسيّر...الخ.

ظهر في القرن الثالث للهجرة، ولأول مرة، في ضوء ما وصل الينا من مؤلفات، مصطلح التاريخ، عنوان كتاب للعالم عبيد بن محمد الكشوري(ت281هـ)[20]. ولا ندري ان كان هناك تأثير من عدمه، من خارج مركز اليمن، بكتابي تاريخ خليفة خياط(ت240هـ)، وتاريخ اليعقوبي(ت292هـ)، اللذين ظهرا بنفس القرن، بالتزامن مع نشاط الرحلة العلمية بين امصار الدولة، إلّا أن كتاب الكشوري في التاريخ، يشير إلى استيعاب للمصطلح، وتطور مهم في الكتابة التاريخية، ولولا ان الكتاب مفقود، لكنا وقفنا عليه بشيء من التفصيل، ومع ذلك وجدنا إشارات كثيرة له في كتاب تاريخ مدينة صنعاء للمؤرخ الرازي (ت460هـ)، وتتبعنا هذه الإشارات فوجدنا الاقتباسات بلغت عدد (109) نصوص موزعة في (66) صفحة، بصيغ مختلفة متنوعة بين الرواية للحديث، والتاريخ وجغرافيا الأماكن في صنعاء، وعلم الرجال، والانساب. ويغلب على نقل الرازي، من الكتاب المفقود، روايات تخص علم الحديث. ومع ان النصوص المنقولة تخدم الكتابة التاريخية في مجال العلم والعلماء، وتفاصيل عن مدينة صنعاء، الا انها لا تعطي صورة كاملة تمكننا من معرفة المنهج الذي اتبعه المؤرخ الكشوري وإطار كتابه الزمني ومحتواه الكامل.

تطورت الكتابة التاريخية في القرن الخامس للهجرة، مع كتابين، يحملان اسم تاريخ، واختصا بتاريخ المدن، الأول: للمؤرخ اسحاق بن يحيى بن جرير الصنعاني(ت450هـ)، بعنوان: تاريخ صنعاء، بدأ بالرواية، وانتقل إلى القصة، وفيه تفاصيل عن خطط صنعاء بإفراد واسع عن (أبوابها، ومساجدها، ودورها، واسواقها، وسككها)، وتناول الاحداث وفق السنوات من عهد الإسلام الى الربع الأول من القرن الخامس

(19) منهم؛ عبد الله بن سلام (مركز يثرب)، وكعب الاحبار، وهب بن منبه (مركز اليمن)، ومحمد بن كعب القرظي، ورجل من تدمر عرف بـ" أبي يعقوب"، كان يهوديا فأسلم، واستعان به النسابة ابن الكلبي(ت204هـ)، لتزويده بالأسماء التي يستعملها النسابون في الأنساب، لإنجاز كتابه "جمهرة أنساب العرب". جواد علي، المفصل، ج 2، ص 61، 62؛ ابن النديم، الفهرست، ص 121؛ الحموي: ياقوت بن عبد الله (ت 626هـ)، معجم الأدباء، ت. احسان عباس (بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1993م)، ج 6، ص 2802؛ جواد علي، المفصل، ج 2، ص 62؛ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص 152؛ الحديثي: انمار نزار عبد اللطيف، شجرات النسب الأولى أصلها وتطورها، رسالة ماجستير، (بغداد، جامعة بغداد، 1998م)، ص 30، 31.

(20) عبيد بن محمد بن ابراهيم أبو محمد الكَشورِي الازدي الصنعاني. مؤلّف، ومحدّث، وراوي، حافظ. له كتاب: " التاريخ أو " تاريخ اليمن ". مفقود، نقل منه الرازي في كتاب تاريخ مدينة صنعاء. كِشور (كدرهم) من قرى صنعاء، توفي (281/288/290هـ). الذهبي: شمس الدين، محمد بن أحمد(ت748هـ)، تاريخ الإسلام، ت. د. بشار عواد، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2003م)، ج 6، ص 778؛ السمعاني: عبد الكريم بن محمد(ت562هـ)، الأنساب، ت. عبد الرحمن المعلمي، (حيدر اباد، مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1962م)، ج 11، ص 118. (نسخة الكترونية).

للهجرة، وهي طريقة جديدة وقتذاك في مؤلفات اليمن، وربما متأثرة بمؤلفات القرن الثالث والرابع للهجرة[21]، لكنها تنبئ بتطور في الكتابة التاريخية. والكتاب الثاني: للمؤرخ أحمد بن عبدالله بن محمد الرازي(ت460هـ)، بعنوان تاريخ مدينة صنعاء، وفيه إشارة للتاريخ، لكنه مختص بتاريخ المدن ايضًا، وتتبع اخبار صنعاء، من عهد الرسول ﷺ مع تفاصيل دقيقة حول بناء المدينة وعمارتها، وجوّها، وطيب أرضها، وذكر مسجدها الكبير، كما تطرق إلى آثار كنائس خربة في صنعاء تخص النصرانية، ودخول عيسى بن مريم الى صنعاء، واتخاذ النصارى كنيسة على اثر مصلاه[22] ويبدو قصص دخول المسيح صنعاء، اخبار سفينة نوح، وقوم لوط، وقوم صالح، وكنوز اليمن[23]، ربما من التناول الأساطيري، كالذي حمله كتاب التيجان لوهب. وحوى الكتاب قسم لتاريخ العرب في الإسلام واشارة إلى الفتوحات في عهد الخليفة عمر، وتنظيماته الإدارية. وتاريخ الرجال (وهب بن منبه، كيسان). وربما، وفق افتراض الحبشي، يكون هناك شبه اتفاق بين المؤلفين، كونها في نفس الفترة، بان يتناول ابن جرير الجانب التاريخي، والرازي يتناول الحديث، وموضوع الفضائل(الصنعاني ص 7.).

ومن المؤلفات التي حملت الصيغة الصريحة لمصطلح "تاريخ" ثلاثة كتب في القرن السادس للهجرة، الأول للعالم مسلم اللحجي، بعنوان "تاريخ مسلم اللحجي وطبقات مشاهير اليمن" ومع انه حمل اسم تاريخ، لكن الذي وصل الينا تراجم، وهو جزء من الكتاب، وقد يكون الّف كتاب في التاريخ، ونهاية الكتاب خصصه للتراجم، كخليفة بن خياط. والثاني للعالم الزبراني، زيد بن عبد الله بن احمد(ت570هـ)، له كتاب "تاريخ اليمن" مفقود. وكتابين للعالم نشوان بن سعيد الحميري(ت573هـ)، بعنوان: "تاريخ اليمن وانسابه"، و"احكام صنعاء وزبيد"؛ يعد الجزء الثاني من خلاصة السيرة الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة. ومن استعراض، ما توفر من كتب، أو تناولات عنها، لحظنا، أنّ الكتابة في الفترات اللاحقة، لا تبتعد كثيرًا، عن مّا صيغ في البدايات الأولى للكتابة في اليمن، وخاصة في القرنين الأول والثاني للهجرة، ويغلب عليها التناول الذي ابتدأه ابن شريّة، بطريقة خبرية، في تدوين الأحداث، فمن الخبر، بدأ مفهوم اليمنيين للتاريخ، وتطورت فكرته عند العلماء المتأخرين، مع تنوع التأليف في التاريخ وعلومه المساعدة، كالفضائل والمناقب والمدن،...الخ، في فترات وقرون لاحقة، ولا تخلو المؤلفات ذات الصلة بالتاريخ من التأثر بالمدونين الأوَلْ، كالسرد القصصي الذي وسم كتابات وهب بن منبه، ومع ذلك استمر الأسلوب والطريقة الخبرية المتأثرة بمنهج الاخباري ابن شرية، في تدوين الأحداث، إلى فترات متأخرة، فمثلًا، يذكر الهمداني(ت360هـ) سبب تأليفه الاكليل التضارب في معلومة الخبر، "وإذا الخبر الواحد ترويه الجماعة في وجوه مختلفة"(الحديثي، ، ص 21). ويقول المؤرخ مسلم اللحجي، في منتصف القرن السادس للهجرة عن عدم اجتهاد اليمنيين: "إنّ قلة الرغبة في أهل اليمن في إحياء ما يكون في بلادهم، وفي أهلها من الأخبار والآثار.. ما قد عرفت" (الجندي، السلوك، ج1، ص 7.). كما أنّ نسخة المخطوط الأصل الذي اعتمد عليها محقق كتاب ابن سمرة (ت586هـ)، كان عنوانها: "كتاب طبقات فقهاء اليمن، وعيون من اخبار سادات رؤساء الزمن، ومعرفة انسابهم ومعرفة أعمارهم ووقت

(21) مؤلفات القرن الثالث تاريخ خليفة خياط(ت240هـ)، وتاريخ اليعقوبي(ت292هـ)، وربما تأثر بتاريخ الكشوري(ت281هـ) المفقود، ومن القرن الرابع تاريخ الطبري (ت310هـ)، ولم يشير له ابن جرير الصنعاني(ت450هـ)، ربما لعدم الحصول على نسخه منه، بينما الرازي(ت460هـ)، نقل عنه عدة نصوص.

(22) اول دخول للنصرية الى اليمن زمن الامبراطور (كونستانتيوس)، الذي أوفد أول سفارة مسيحية الى جنوب الجزيرة برئاسة(تيوفيلوس)، وانشأ ثلاث كنائس: في ظفار وعدن، ونجران، وليس هناك خبر عن كنيسة في صنعاء، وكانت نجران اهم المراكز المسيحية في الجنوب، وقد نقل اليها هذه الديانة قس سوري (فيميون) على مذهب (الطبيعة الواحدة)، حوالي 500 ق. م. وفي نجران بنيت كعبة (القليس) لتصرف الحبشة، أذهان العرب عن الحج الى الكعبة في مكة. الرازي، تاريخ مدينة صنعاء، ص 10، 11، 90. لكن يبدو غير منطقي ان يتواجد الاحباش بصنعاء، ويبنوا القليس في نجران، والأرجح انها في صنعاء.

(23) ورد أنّ الكنوز ثمانية في اليمن هي: إرم مدينة شداد بن عاد في أبين. وجبل ذخر في المعافر (جبل حبشي) وهو ذخر الله في أرضه. وجبا حصن الفراعنة. ظفار موضع التبابعة. مارب. شبام. غُمدان. والثامن الخضراء من حضرموت. الرازي، تاريخ مدينة صنعاء، ص 184، 185.

وفاتهم (ابن سمرة، طبقات فقهاء اليمن، (من مقدمة المحقق).. ويسري التناول الإخباري على كتابي جياش بن نجاح(ت498هـ) المفيد في اخبار زبيد، عمارة الحكمي(ت567هـ) المفيد في اخبار صنعاء وزبيد، رغم انهما يصنفان بفرع تاريخ المدن، لكن الصيغة الخبرية حاضرة في العنوانين، وثنايا كتابهما، ما يشير إلى أن مفهوم الكتابة عند المؤرخين المتأخرين، فيها تأثير من منهج المدونات التاريخية المبكرة.

نخلص من هذا البحث الى:

أولًا: دلّت مفردات كثيرة في ازمنة مختلفة على قربها من "مصطلح التاريخ"، استخدمها العرب قبل الإسلام وبعد الاسلام، وغلب عليها الرواية الشفوية، وكانت قصص الحميريين تمثل مصدرًا لتاريخ العرب وما قبل تاريخهم، تناقلوها في تجمعاتهم وأسمارهم فيما سمي بأساطير الأولين عن العرب البائدة وحروبهم وأنسابهم وشعرهم. ولم نقف عند مصطلح مباشر باسم "التاريخ"، في التدوينات الأولى للعرب.

ثالثًا: الكتابة المسمى بالإسرائيليات، طارئة على الدراسة التاريخية في جزيرة العرب، وانتقلت إلى الفكر العربي الإسلامي، عن طريق يهود دخلوا الدين الإسلامي، عبر مركزي يثرب، واليمن.

رابعًا: أسهم اليمنيون في تطوير علم التاريخ عند العرب، وأقدم محاولة في تناول التاريخ كـ" علم"، قام بها الفيلسوف اليمني العربي يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي.

خامسًا: يوحي أول كتابين في مركز اليمن الحضاري بالتدوين التاريخي، رغم عدم افصاحهما، بصورة واضحة على مصطلح التاريخ، الا من خلال مضامينه. واستمر المنهج الاخباري في سرد الاحداث للمؤرخين اللاحقين، كما تطورت الكتابة التاريخية مع تطور مفهوم المؤرخين للتاريخ، فلحظنا ظهور مؤلفات لاحقة، تحمل عناوينها لفظا صريحا باسم التاريخ، ولم يختفِ المنهج الاخباري حتى السادس للهجرة.

سادسًا: مفهوم التاريخ لدى مؤرخي اليمن في القرون الستة الأولى للهجرة هو الخبر؛ ويعزز هذا المفهوم، القول بأنّ اليمن؛ مصدر واصل لفظة "الخبر، وأول كتاب تاريخ عند العرب، حمل جوهر التاريخ، وهو الخبر ظهر في مركز اليمن لابن شرّية.

سابعًا: التكامل في الصلات الثقافية بين مركز اليمن ومحيطه الجغرافي ظهر بدايةً مع مركز الدولة العربية الإسلامية المدينة المنورة، والمراكز الأخرى في العراق والشام ومصر والمغرب والاندلس.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

ابن العربي: محمد بن علي (ت638هـ)، الفتوحات المكية، ت. عبد العزيز سلطان المنصوب، (صنعاء، وزارة الثقافة، 2010م).

1. ابن الكلبي: هشام بن محمد (ت204هـ)، جمهرة النسب، ت. د. ناجي حسن، (بيروت، دار الكتب، ومكتبة النهضة العربية، 1986م).
2. ابن النديم: محمد بن إسحاق(438هـ)، الفهرست، ت. إبراهيم رمضان، (بيروت، دار المعرفة، 1997م).
3. ابن دريد: محمد بن الحسن، (ت321هـ) الاشتقاق، ت. عبد السلام هارون، (القاهرة، مكتبة الخانجي، ط3، د.ت).
4. ابن سمرة: عمر بن علي الجعدي(ت586هـ)، طبقات فقهاء اليمن، ت. فؤاد سيد، (بيروت، دار القلم، د.ت).
5. ابن عبد الحكم: عبد الرحمن بن عبد الله المصري (ت257هـ)، فتوح مصر والمغرب، (د. م، مكتبة الثقافة الدينية، 1415هـ).
6. ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا (ت395هـ)، مجمل اللغة، ت. زهير عبد المحسن سلطان، (بيروت، دار الرسالة، ط 2، 1086م).
7. ابن منبه: وهب بن منبه، التيجان في ملوك حمير، ت. مركز الدراسات والأبحاث اليمنية (صنعاء، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، 1979م).
8. ابن منظور: محمد بن مكرم الأنصاري (ت 711هـ)، لسان العرب، (بيروت، دار صادر، 1414هـ).
9. ابو ضيف: مصطفى، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية، (المغرب، دار النشر المغربية، 1986م).
10. اتكن: هيوغ، دراسة التاريخ وعلاقته بالعلوم الاجتماعية، ترجمة د. محمود زائد، (بيروت، دار العلم للملايين، ط 2، 1982م).
11. الأندلسي: صاعد بن احمد (ت462هـ)، طبقات الأمم، نشر الأب لويس شيخو اليسوعي، (بيروت، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، 1912).

12. الجاحظ: عمرو بن بحر (ت255هـ)، البيان والتبيين، (بيروت، دار ومكتبة الهلال، 1424هـ).
13. الجندي: محمد بن يوسف بن يعقوب (ت 732هـ)، السلوك في طبقات العلماء والملوك، ت. محمد بن علي الأكوع، (صنعاء، مكتبة الارشاد، ط2، 1995م).
14. الحديثي: نزار عبد اللطيف، أهل اليمن في صدر الإسلام، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1979م).
15. الحديثي: نزار عبد اللطيف، علم التاريخ عند العرب فكرته وفلسفته، (عمّان، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2013م).
16. الحموي: ياقوت بن عبد الله (ت 626هـ)، معجم الأدباء، ت. احسان عباس (بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1993م).
17. الحموي: ياقوت بن عبد الله (ت 626هـ)، معجم البلدان، (بيروت، دار صادر، ط2، 1995م).
18. الحميري: نشوان بن سعيد (ت 573هـ)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ت. د. حسين العمري، مطهر الإرياني– د. يوسف عبد الله، (بيروت، دار الفكر المعاصر– دمشق دار الفكر، 1999م).
19. الخطيب: احمد بن علي بن ثابت البغدادي (ت 463هـ)، الكفاية في علم الرواية، ت. ابو عبد الله السورقي، إبراهيم حمدي المدني، (المدينة المنورة، المكتبة العلمية، د.ت).
20. الدوري: عبد العزيز، أوراق في التاريخ والحضارة، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2007م)، ج 1.
21. الدوري: عبد العزيز، نشأة علم التاريخ عند العرب، (أبو ظبي، مركز زائد للتراث والتاريخ، 2000م).
22. الذهبي: شمس الدين، محمد بن أحمد(ت748هـ)، تاريخ الإسلام، ت. د. بشار عواد، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2003م).
23. الرازي: احمد بن عبد الله بن محمد، تاريخ مدينة صنعاء، ت. د. حسين العمري، (بيروت، دار الفكر المعاصر–دمشق، دار الفكر، ط3، 1989م).
24. الرازي: محمد بن أبي بكر (ت666هـ)، مختار الصحاح، ت. يوسف الشيخ محمد، (بيروت، المكتبة العصرية–صيدا، الدار النموذجية، ط5، 1999م).
25. الزبيدي: السيد محمد مرتضى الحسيني (ت 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد السلام محمد، (الكويت، مطبعة حكومة الكويت، 1994م).
26. الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد الدمشقي(ت1396هـ)، الأعلام، (بيروت، دار العلم للملايين، ط 15، 2002م).
27. السمعاني: عبد الكريم بن محمد(ت562هـ)، الأنساب، ت. عبد الرحمن المعلمي، (حيدر اباد، مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1962م). نسخة الكترونية.
28. السخاوي: محمد بن عبد الرحمن شمس الدين (ت 902هـ)، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، ت. فرانز روز نثال، ترجمة الدكتور صالح أحمد العلي، (بيروت، مؤسسة الرسالة، 1986م).
29. السروري: محمد عبده، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدويلات المستقلة من سنة 429هـ– 1037م، إلى 626هـ– 1228م، (القاهرة، مؤسسة الإسراء للنشر والتوزيع، 1999م).
30. الصنعاني: اسحاق بن يحيى بن جرير(ت450هـ)، تاريخ صنعاء، ت. عبد الله الحبشي، (صنعاء، مكتبة السنحاني، د.ت).
31. الصولي: ابو بكر محمد بن يحى(ت335هـ)، أدب الكتاب، تصحيح محمد بهجة الأثري، نظر فيه السيد محمود شكري الآلوسي، (بغداد–المكتبة العربية، مصر–المطبعة السلفية، 1341هـ).
32. الطبري: محمد بن جرير(ت310هـ)، تاريخ الرسل والملوك، (بيروت، دار التراث، ط 2، 1387هـ).
33. الفراهيدي: الخليل بن أحمد (ت170هـ)، العين، ت. د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، (القاهرة، دار الهلال، د.ت).
34. الفيروز آبادى: محمد بن يعقوب، (ت 817هـ)، القاموس المحيط، ت. مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسُوسي، (بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، 2005م).
35. القلقشندي: أحمد بن علي (ت821هـ)، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، ت. إبراهيم الإبياري، (مصر، دار الكتاب المصري، لبنان، دار الكتاب اللبناني، ط2، 1982م).
36. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، (ت 346 هجرية)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، (بيروت، دار الفكر، 1973م).
37. الهمداني: محمد بن موسى بن عثمان الحازمي(ت584هـ)، عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب، ت. عبد الله كنون، (القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ط 2، 1973م).

38. اليعقوبي: أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب (ت. ب 292هـ)، البلدان، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1422هـ).

39. اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، (بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، 1980م).

40. بارنز: هاري المر، تاريخ الكتابة التاريخية، ترجمة د. محمد عبد الرحمن برج، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987م). ج1.

41. سيزكين: فواد، تاريخ التراث العربي، تعريب محمود فهمي حجازي، راجعه، د. عرفة مصطفى، ود. سعيد عبد الرحيم، (الرياض، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، 1991م)، مجلد 1، ج2.

42. علي: جواد (ت 1408هـ)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (بيروت، دار الساقي، ط4، 2001م).

43. كحالة: عمر بن رضا (ت1408هـ)، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط7، 1994م).

44. مصطفى: شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون– دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام–، (بيروت، دار العلم للملايين، ط3، 1983م).

45. هرنشو: علم التاريخ، ترجمة عبد الحميد العبادي، (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1944م).

دوائر المعارف والأبحاث والدوريات والرسائل العلمية

46. ابو الغيث: عبد الله، قراءة تاريخية لتدوينات الكُتاب الإغريق عن جنوب جزيرة العرب، استرابون أنموذجاً، (بغداد، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، 2016م).

47. اسماعيل: بهيجة خليل، الكتابة وانتقالها من العراق القديم إلى الأمم الأخرى، بيت الحكمة العباسي–عراقة الماضي ورؤية الحاضر، (بغداد، 2001م)، المجلد الأول.

48. الحديثي: انمار نزار عبد اللطيف، شجرات النسب الأولى أصلها وتطورها، رسالة ماجستير، بغداد، جامعة بغداد، 1998م).

49. الحديثي: نزار عبد اللطيف، نجران أهميتها وعلاقتها بالإسلام، مجلة المؤرخ العربي، (بغداد، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، العدد 29، 1986م).

50. الشيبة: عبد الله حسن، الهمداني وصفة جزيرة العرب، مجلة الاكليل، (صنعاء، وزارة الثقافة، العدد 27، 2002م).

51. العلي: صالح، كتابة تاريخ عام للعرب أهميتها وبعض مشاكلها، مجلة المؤرخ العربي (بغداد، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، ع 51، 1995/1994م).

52. العلي: صالح، منطقة الحيرة، مجلة كلية الآداب، (بغداد، جامعة بغداد، العدد 5، 1962م).

53. العواضي: حميد، لهجات جزيرة العرب كما يصفها الهمداني، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، (جامعة صنعاء، كلية الآداب، عدد خاص، 2010م).

54. المشهداني: محمد جاسم حمادي، نظرات في إعادة كتابة التاريخ العربي الإسلامي، مجلة المؤرخ العربي (بغداد، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، العددان 41، 42، 1990م).

55. بيتروفسكي: ميخائيل، الهمداني والملاحم القحطانية، ترجمة موسى المظفري، مجلة كلية الآداب، (جامعة صنعاء، كلية الآداب، مجلد 33، عدد خاص، 2010م).

56. حمادي: محمد قاسم، أثر التدوين والاسناد في الحديث على نشؤ وتطور الفكر التاريخي، (مجلة المؤرخ العربي، بغداد، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، العدد 23، 1983م).

57. دائرة المعارف الإسلامية، علم التاريخ، (بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1981م).

58. سليمان: عامر، اللغات العاربة، لغات العرب القدماء، مجلة المجمع العلمي، (بغداد، مج 51، ج 3، 2004م).

59. عواد: بشار، مظاهر تأثير علم الحديث في علم التاريخ عند المسلمين، (بغداد، مجلة الأقلام، السنة الأولى، ج 5، 1384هـ).

60. ماجد: عبد المنعم، الخبر التاريخي عند مؤرخي المسلمين، مجلة المؤرخ العربي (بغداد، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، العدد، 39، 1988م).

61. موسوعة حضارة العراق (بغداد، دار الحرية للطباعة، 1985م).

62. ناجي: عبد الجبار، تتبع تاريخي لمحاولة ابن خلدون في إعادة كتابة التاريخ العربي، مجلة المؤرخ العربي (بغداد، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، ع، 22، 1982م).

63. ناصر: أحمد سعيد، بيت الحكمة ودوره في الصلات العلمية بين الشرق والغرب، رسالة ماجستير، (صنعاء، جامعة صنعاء–كلية الآداب، 2015م).